صهيب الصابوني
ليسانس في الحقوق
دبلوم في الحقوق العامة

معاوية الياسي

رسالة جامعية في التاريخ الدبلوماسي لنيل شهادة الاختصاص

باشراف

الدكتور عدنان العجلاني

سمحت كلية الحقوق في الجامعة السورية بطبعها بتاريخ
٨/ ٥/ ١٩٥٤

فرع الحقوق العامة

١٩٥٣ ـ ١٩٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاهـــــــــــــداء

الى اساتذتي الذين طوروا ، وعلموا ، وسجلوا ، في سجل عادتهم

اقدم باكورة جهدي العلمي حبا وتقديـــــــــا

صهيـــــــب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــــــــــــة *

ـ غصت كتب التاريخ في المكتبة العربية باحثة في عظماء العرب وملوكهـــــــم ولكن ما من مؤرخ الا وذهب مذهبا يرضي الفئة التي عاش في كنفها وكرس قلمه في خدمتهـــــا والاشادة بعظمتهـــا .

فاذا ما اراد الباحث معرفة تاريخ احد الغابرين كان لابد وان يقـــــــرأ مؤلفات عديدة ، حتى يصل او لا يصل الى المعرفة والحقيقة العلمية التي يريدها .

فهناك كتب السنة ، والى جانبها كتب الشيعة تناقضها ما استطاعـــــت وهناك كتب المستشرقين وآراؤهـــــم

وقد رأيت ان اتخذ على عاتقي دراسة شخصية كثر القيل والقال حولهـــــا فمن قائل انها فذة ابدعت شيئا جديدا في السياسة العربية الاسلامية . ومن قائـــــل انها لم تكن شيئا يذكر ، وان ذكرت فشيء من الطمع والجشع ، وحب الذات والاثـــره

وقد بدأت دراساتي حول هذه الشخصية فقرأت جل ما كتبه عنها ـ المؤيدون والمبغضـــــــون .

وقد اقمت نفسي رائدا ووضعت هدفي معرفة الحقيقة العلميـــــــة واظهارها بشكلها الصحيح ، وارجو ان اكون قد قمت بقسطي واوفيت الشخصيـــــة حقها كامـــــــلا .

تلك هي شخصية معاوية بن ابي سفيان رجل الدولة الاموية من وجهها السياسي واني وان كنت قد وفقت لمهمتي هذه ، فذلك يرجع الى توجيه استاذي الدكتور عدنان العجـــلاني الذي كان لي مرشدا ومعينا حتى اوفيت مهمتي ، فانا اسجل له جميله اعترافا وشكـــرا .

عمان ١/٤/١٩٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مخطط البحث *

الاهداء *

المقدمة

مخطط البحث

المصادر

الباب الاول

الفصل الاول

ـ نظرة تاريخية ـ

امية في قريش قريش في العرب

قبل الاسلام وبعدها .

الفصل الثاني

ـ شخصية معاوية ومزاتها ـ

الباب الثاني ـ سياسة معاوية ـ

الفصل الاول

ـ سياسة معاوية بصورة عامة ـ

الفصل الثاني

ـ سياسة معاوية والدين الاسلامي ـ

الفصل الثالث

ـ سياسة معاوية في الحكم ـ

الفصل الرابع

ـ سياسة معاوية والمصلحة الشخصية والاموية ـ

الفصل الخامس

ـ سياسة معاوية مع خصومه السياسيين وغيرهم ـ

الفصل السادس

ـ سياسة معاوية الادارية والمالية ـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تـــــــــــابع
مخـــــــــــطط البحـــــــث

==========

البـــــــــاب الثالـــث — نظـــرة مقارنـــــــــة —

الفصـــــل الاول — سياسة معاويـــة والمذاهب الحديثة —

الفصـــــل الثاني — سياسة معاويـــة ومكيافيلـــــي —

خاتمـــــــــــــة *

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصادر الرسالة *

ـ لم اذكر في رسالتي هذه من خبر او قصة او فكرة الا وهي مستقاة من احدى هذه المصادر ..

١ـ تاريخ دمشق	لابن عساكر (مخطوط في المكتبة الظاهرية ـ بدمشق)
٢ـ معاوية	للاوزاعي = = = = = =
٣ـ الفتنة الكبرى	طه حسين
٤ـ تاريخ الاسلام السياسي	السيد امير
٥ـ تاريخ الشعوب الاسلامية	كارل بروكلمن
٦ـ السيادة العربية والشيعة في عهد بني امية	فان فلوتن
٧ـ خطط الشام	كرد علي
٨ـ الكامل	ابن الاثير
٩ـ مروج الذهب	المسعودي
١٠ـ اشهر مشاهير الاسلام	رفيق العظم
١١ـ تاريخ الامم والملوك	ابن جرير الطبري
١٢ـ تاريخ الاسلام السياسي	حسن ابراهيم حسن
١٣ـ معاوية	عمر ابو النصر
١٤ـ الدولة الاموية في الشام	انيس زكريا النصولي
١٥ـ الاموال	ابي عبيد القاسم
١٦ـ السيرة	الاوزاعي
١٧ـ السيرة	ابن هشام

ـ وهناك بعض الرسائل الصغيرة والكتب التاريخية المدرسية ..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الاول *

(الفصل الاول)

ـ نظرة تاريخية ـ

امية في قريش ، قريش في العرب

قبل الاسلام وبعده .

(الفصل الثاني)

ـ شخصية معاوية ومميزاتها ـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الاول

امية في قريش وقريش في العرب

قبل الاسلام وبعده

ينتسب معاوية الى ابي سفيان ابن حرب بن امية ابن عبد شمس ابن عبد مناف ، وكان امية من افضل بيوت الشرف في الجاهلية والاسلام ، فسابق بشرفه ، ورفيع مقامه عمه هاشم بن عبد مناف وكان لتنافسهما في الجاهلية والاسلام اثر بليغ في مصاير الدولة الاسلامية .

وكان امية تاجرا كثير المال والعيال ، فكان له من الولد احد عشر ذكرا ، ومنهم العقابس ، وهم حرب ، وابو حرب ، وسفيان ، وابو سفيان ، وعمرو ، وابو عمرو .

وكان حرب بن امية قائد قريش يوم الغبار ، كما قاد ابو سفيان قريشا في حروبها ضد الرسول ، وهو صاحب العير التي وقعت موقعة بدر الكبرى من اجلها ، وكان رئيس الجيش الكافر لحماية قريش ضد ابن ربيعة ابن عبد شمس جد معاوية لامه فكان ابوه صاحب النفير ، وبهذا يضرب المثل فيقال للشامل من الناس لا في العير ولا في النفير .

هذا شأن امية في الجاهلية اما في الاسلام .

فقد كان اسلام معاوية وابيه وجميعه واحد عند يوم الفتح وله من العمر ثلاث وعشرون سنة .

وقد جعله الرسول كاتبا للوحي عندما لمس فيه الحرص والعقل والفطنة عنه لعائلته ولعل ادل على ذلك من قول الرسول ((من اغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار ابي سفيان فهو آمن)) .

وهذا شرف عظيم ، لم ينله احد ، وان كان الرسول قد وصى من وراءه الى حقن الدماء وتآلف القلوب ، وتوحيد الكلمة ، فقد رأى بنو امية في ذلك توطيدا لشرفهم ، وتمهيدا لرفيع مقامهم ، بحيث سووهم وبين بني هاشم عائلته .

وما ان فتح باب التوليه ، حتى رأينا الصديق يعهد ليزيد بن ابي سفيان قائدا لاحد الجيوش الاربعة التي ارسلها لغزو الشام

/.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتمت له الولاية على دمشق بعد فتحها ، وانتقلت الولاية بعد موته لاخيه معاوية ، ولما كان عثمان ابن عفان اطلق يده في الشام كلها ، وظل شأن معاوية في تعاظم وتقدم حتى مقتل عثمان وقيام علي ، حين استقل معاوية في الشام وامتنع عن البيعة له ، واتهمه بمقتل عثمان ، واعلن عليه الحرب مطالبا بدم عثمان ، وقد بايعه اهل الشام على ذلك .

.....

.....

.....

– تزوج معاوية من سيدة ارستقراطية من قبيلة كلب اليمانية وهي اقوى القبائل في سوريا ، وبذلك ضمن معاوية لابنه يزيد ولي العهد تأييد ذوى قرباه ، وليس هذا فحسب ، بل لقد استطاع معاوية بعطاياه ، ومواهبه ان يكسب خصومه السابقين من الهاشميين ، اما انصاره الامويون فقد عاملهم في حذر متبصر حكيم خشية ان يصبحوا خطرا عليه او على ابنه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــــــــل الثاني "

شخصيـة معـاوية وميزاتهـــــــــــــــا

ـ كان معاويـة ذا مواهـب سياسيـة كبيـرة ، وكان داهيـة ذهنـــــــا بعيد مـدى العقـل ، مالكـا قيـاد اهوائـه ، كـان ذا فكـر ورأي وحـزم في امـر دنيـــــــاه اذا راى الفـرصـة سانحـة لم يبعـد ، ولم يتوقـف ، واذا خـاف الامـر توارى عنـه ، واذا خوصـــم في مقـال فاضـل عنه وقطـع الكـلام على مناظـره .

تتجـلى شخصيته بناحيتين

١ـ الحـلـم

٢ـ الدهـــاء

وقـد قـال علي لجلسائـه يومـا ((اتذكرون كسرى وقيصـر ودهاءهمـــا وعندكم معاويـــــــــــــــة)) .

وقـال عمرو بن العاص ((اتقـوا ادم قريش من يضحك في الغضـــب ولا ~~يلقاه من الرضى~~ ولا ينـام الا عن الرضـى ، ويتناول مافـوقه من تحتـه)) .

وكـان يقـوده دهاؤه الى البذل في العطـاء ، وقد ذكـر الطبري حادثة تستطيـع ان تستنبط منها مبلـغ استخدامه المال في سبيـل شراء ضمائـر ذوي المكانـــة والنفـــوذ من معاصـريه ، وذلك ان ابـا منازل قال له حينما اعطـاه معاويـة سبعين الفـا بينما اعطـى جماعـــة من الزعمـاء مئـة الـــف .

ـ فضحتنـي في بنـي تميم ، اما حسبي بصحيح ، اولست ذا سن ، اولست مطاعا في عشيرتـي ؟

ـ قال معـاويـة بلى .

ـ قال فما بالـك خصصت بي دون القـوم ؟

ـ قال معـاويـة

ـ اني اشتريت من القـوم دينهـم ووكلتك الى دينك ورايك في عثمـان بن عفان ـ وكان عثمانيـا ـ فقـال وانا فاشتـرى مني دينـي .

ـ فامر له بتمام الجـائزة .

ولا نجـــد تصـويرا ادق لشخصيـة معاويـة ، وطريقـة حكمـه من قولـه

((لااضـع سيفـي حيث يكفيني سوطـي ، ولا اضـع سوطـي حيث يكفيني لسـاني ، وان كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعـت ، قيل وكيف ذلك ؟ قال كنت اذا مدوها خـليتها واذا خـلوها مددتها)) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا ان دل فانما يدل على طول باعه في السياسة ، وهدوء اعصابه ، اذا جابهته المشكلات او نزلت بساحته الكوارث والمعضلات .

ـ ولقد قال له يزيد يوم بويع له على عهده ، فجعل الناس يهدئونه ويقرظونه .

ـ يا امير المؤمنين والله ما ندري اتخدع الناس ، ام يخدعونك ؟

ـ فقال معاوية ـ كل من اردت خديعته ، فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته

وهذه الاقوال وكثير مثلها يقنعنا بصدق حكم الشعبي الذي قال فيه

ـ كان معاوية كالجمل الطب ، اذا سكت عنه تقدم واذا رد تأخر .

وصدق قول ابي جهل الشاعر اذ يقول "

نميل على جوانبه كأنا

اذا ملنا نميل على ابينا

نقلبه لنخبر حالتيه

فنخبر منهما كرما ولينا

١٨٠٢٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثاني *

سياسة عصارية *

(الفصل الاول)

سياسة بصورة عامة

(الفصل الثاني)

سياسة والدين الاسلامي

(الفصل الثالث)

سياسة في الحكم

(الفصل الرابع)

سياسة والمصلحة الشخصية والاسرة

(الفصل الخامس)

سياسة مع خصومه

(الفصل السادس)

سياسة الادارية والمالية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(الفصـــــــــــل الاول) *

(سياســـة معـاويـة بصـــورة عامـــــــــة) *

ـ رأينا ونحن نبحث شخصية معاوية اننا امام شخصيـــــــــة فذة في الدهاء والحلم ، وهما الميزتان اللتان يتحلى بهما الرجل السياســـــي الذي جمع بين حسن الرأي ، وبرودة المنطق ، ورقيق الدهاء ، وبارع السياســـة ورائـــع الحلم وهي صفات لاتتفق جميعها في رجل واحد الا في القليل النـــادر

ـ وقد قال بروكلمـــن في حديثه عن معاويـــة

ـ كان من عادته ان يجتمع بعد صلاة الجمعة في المسجد الى رؤس القـــوم واشرافهم فيباحثهـــم من على المنبـــر ، الذي كان بالنسبة اليه منصـــة الحكـــم اكثر منه مدة للوعـــظ ، في مختلف الشئون السياسية ، وكان يعقد مثل هـــذه المجالس في قصره باضطراد ، والحق ان امثال هذه الاعمال كانت تكشف ابـــدا عن الســـمة الرئيسية في شخصيته ، اعني الرصانة الرفيعة والحلم اللذين كانا يعتبران سمـــة السيد الاولى ، بسبب من تدريبها عند العرب ، وكان معاويـــة يسوس الناس بصـــــــــــ

السامية في تكوين معاوية دهاة ساسة ذلك الوقت .

ـ تلك الصفات هي *

١ ـ ايقاع اعدائه في مشكلات لا تقوم لهم من بعدها قائمة بافانين طريفة ، طالما عمد اليها الكثير من ساسة اليوم مثال ذلك طريقته في ايقاع بطارقة الروم الذين يكيدون للاسلام ، وذلك بمهاداتهم ومكاتبتهم بطريقة مكشوفة ، لاغراء الملك بهم .

٢ ـ حلمه وهناك مئات الامثلة التي اثرت بها كتبنا التاريخية والادبية وكلها مشيدة بحلمه ، مطنبة في فضائل سعة صدره على انه تجتزئ منها هنا بمثل بسيط ذلك انه لما اشتد زيادا بابيه ، دخل عليه بنو امية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم اخو مروان بن الحكم الاموي فقال له يامعاوية لو لم تجد الا الزنبق لاستكثرت بهم عليك قلة وذلة فاقبل على اخيه مروان وقال "اخرج عنا هذا الخليع

ـ فقال مروان

والله انه لخليع ما يطاق .

قال معاوية *

والله لولا حلمي وتجاوزي لحلمائه يطاق لم يبلغني شعره في وفي زياد .

فقال مروان *

اسمعنيه

فقال *

الا ابلغ معاوية بن صخر

لقد ضاقت بما تأتي البلاد

اتغضب ان يقال ابوك عف

وترضى ان يقال ابوك زان

٣ ـ نعومة السياسة * وهي غير الحلم وقد تحتاج الى حد ما من نوع المغالطات السياسية * مثال ذلك ماكان بينه وبين الحسن بن علي بشان تنزله عن الخلافة له ، اذ كتب معاوية كتابا فيها جاء فيه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له ، واحوط على حريم هذه الامة ، لبايعتك ، فسل ما شئت ؟
وبعث اليه بصحيفة بيضاء مختومة في اسفلها ، ان اكتب فيها ما شئت ، فكتب الحسن اموالا وضيعة ، وامانة لشيعة علي
وقد قال معاوية يصف نفسه "
ـ اعنت على علي بن ابي طالب باربع خصال
كان رجلا ظهرة فلتة ، لايكتم سرا ، وكنت كتومة لسرى وكان
لايبقي حتى يفاجئه الامر مفاجأة ، وكنت ابادر الى ذلك وكان
في اخبث جند واشد هم خلافا "
وكنت احب الى قريش منه "
فقلت ماشئت ، فلله من جامع الي ومفرق عنه
ـ وقال في موطن اخر "
اني لاحول بين الناس وبين السنتهم مالم يحولوا بيننا
وبين سلطاننا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(الفصـــــــــــل الثانـــي) "

(سياسة معاوية والدين الاسلامـــــــــــي) "

ـ لسنا نريد ان نتعرض لابداء حكم عن دين معاويـــــــــــة ومبلغ تمسكه في تصرفاتـــه الدينية ، واقامته لحدود اللـــه ، مع احكـــام الشـــرع لان ذلك قد تكلم فيه لا الشافعي والحسن البصـــري ، وان ما نـــريد ان نشخـــص معـــاوية وسياسته الدينية ، وما نشأ عنهما من تفـــرق كلمة المسلميـــن وانقسامهـــم الى احزاب فـــلك ، ثم نذكر بشيء من الايجـــاز حكـــم المؤرخين على معاويـــة من هـــذه الناحيـــة فحســـب ،

بـــلاد الاسلام بيـــن الخـــوارج وشيعة معاويـــة وشيعة علـــي

نشأ الخـــوارج في الحـــرب وعاشـــوا على اطـــراف السيوف ، وذلك عندما طلب معاويـــة تحكيم كتاب اللـــه ، لما احس بتمـــزق جنـــده في معركة معـــركة صفيـــن وقـــد وقـــف اصحـــاب علي من هـــذا الطلب بيـــن عاملـــين

ـ ايقبلـــون التحكيـــم ، بانهـــم يحاربون في سبيل اعـــلاء كلمـــة اللـــه وقد دعـــوا اليهـــا .

ـ ام يرفضـــونه لانـــه خدعة سياسيـــة حربيـــة لجأ اليهـــا معاوية بعد ان تخـــاذل جنـــده ؟

ـ وبعد اخـــذ ورد قبـــلوا التحكيـــم وكان من نتائجه ماكـــان .

ـ وهـــذه اول خـــدعة سياسيـــة استغـــل فيها معاويـــة الدين الاسلامي والقـــرآن ليتخـــلص من مأزق لم يكـــن باستطاعتـــه التخـــلص منه لولا هـــذه الحيلـــة التي كانـــت نجـــاته من طـــريقهـــا ، بعد ان كان صاحب الحظ العاثـــر والسيف الفـــاشـــل .

وكـــان من نتيجتهـــا ايضـــا ان تفـــرق صف الامـــام ، وحـــرم النصـــر وادت القلـــة وقد انكـــر قـــوم من جنـــد علي واكثرهـــم من بني تميـــم ، ان يحكم احـــد في كتـــاب اللـــه ، لان حكمـــه في الامـــر واضح ، ولا سبيـــل الى انكـــاره ، واصبـــح شعار هـــذه الطائـــفة ـ لاحكـــم الا للـــه ـ وهؤلاء ومن حـــذى حذوهـــم اطـــلق عليهـــم اسم الخـــوارج .

وقـــد اعلنـــوا حـــربا لاهـــوادة فيهـــا ، بدأت ضـــد علي وانتهت ضـــد معاويـــة ، ولا نحب ان نذكر تفصيلهـــا ، لانها بحـــث تاريخي بحـــت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرى الاستاذ نيكلسون :

ان انصار معاوية وصورة الامر بيده ، كان انصارا للارستقراطية الوثنية ، التي ناصبت الرسول واصحابه العداء ، والتي جاهدها رسول الله ، حتى قضى عليها ، وصبر معه المسلمون على جهادها ومقارعتها حتى تم لهم النصر ، واقاموا على انقاضها نظام الدين الاسلامي ، ذلك الدين الصحيح الذي جعل الناس سواسية ، في السراء والضراء ، وازال سيادة رهط كانوا يحتقرون الفقراء ، ويستذلون الضعفاء ، ويغتصبون الاموال ، لذلك لا غرو اذا كره المسلمون بني امية ، وفطرتهم ، وكبرياءهم واشارهم للاحقاد القديمة ، وتوجههم للروح الجاهلية ، لاسيما وان جمهور المسلمين كانوا يرون ان بين الامويين رجالا كثيرين ، لم يكتفوا بعتقوا الدين الاسلامي الا سعيا وراء مصالحهم الخاصة ، وانهم لا حق لهم في الخلافة ، هذا الى ان سياسة بني امية كانت ترمي الى جعل الخلافة ملكا كسرويا ويدل على ذلك من قول معاوية :

ـ انا اول الملوك ـ (انظر تاريخ اليعقوبي) .

ومن المؤكد ان نيكلسون انما يصور في قوله هذا مذهب الشيعة والخوارج ، لان اهل الشام لم يكونوا من هذا الراي ، ولكن واقع لا تستطيع انكاره او جحده ، رغم ما ذكره الانصار .

ثم ان انصار معاوية كانوا يدعون ان الخلافة في قريش وعدوا امية اولى بها لانهم سادة قريش في الجاهلية وسادتها في الاسلام وهذا خاطئ ايضا ، فالاسلام لم يفرق بين قرشي وغيره ولا بين اسود وابيض بدلالة الاحاديث الكثيرة التي روت عن رسول الله والتي اوردها الدكتور حسن الجملاني في كتابه حقيقة الاسلام في اصول الحكم ، وتحدثنا بحث في شروط الخلافة وهذه الفكرة هي التي تعاضدها الخوارج ، وهم يعلون بذلك ـ الديمقراطية التي تماثل الراديكالية الاوربية الحاضرة ، من حيث انهم كانوا يعتقدون بان الخلافة حق لكل مسلم مادام كفؤا لها ، ولهذا فهم يكفرون ـ معاوية ومن اتبعه وتصح خطاه ، لتغييرهم الفكرة التي وضعها الاسلام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاهد في تحقيقها كثيرا ، الا وهي المساواة في الحقوق والواجبات .

ثم لننظر في موقف معاوية من مقتل عثمان ، فنرى وبصورة واضحة جلية ، أن معاوية لم ينضم في سوق الفتنة ، ولم يخرج قميص عثمان واصابع زوجته ، ولم يعلقها على المنبر ، ولم يبك ويهيج الناس ، طلبا لاقامة حدود الله ولا رغبة في الاخذ بثأر عثمان ، وانما نرى فيها حادثة قام بها معاوية حبا وولاء لاسرته ، ولكن اثتر بالدين والقرآن في الحروب على اعناق القطعة فما ذلك الا حجة تذرع بها للوصول الى الخلافة ، وهي الهدف والهدف ومن الادلة على ذلك ان بعث برسالة الى جماعة علي وهذه الرسالة تجري على اسس المبادئ العثمانية وتقول

ـ اما بعد ، فانكم دعوتم الى الطاعة والجماعة ، اما الجماعة التي دعوتم اليها فعمنا ، واما الطاعة لصاحبكم ، فلا نراها .

ان صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وآوى ثارنا وقتلهم وصاحبكم يزعم انه لم يقتله ، فنحن لانرد ذلك عليه ، ارايتم قتلة صاحبنا ، الستم تعلمون انهم اصحاب صاحبكم ؟ فليدفعهم الينا فنقتلهم به ، ثم نحن نجيبكم الى الطاعة والجماعة ـ

انها معضلة سياسية لا يهون على السياسي حلها ، خلقها معاوية لعلي ، وكيف يستطيع علي ان يدفع الى معاوية قتلة عثمان ، وماذا يكون موقفه امام ذلك الحزب القوي القائم على الخليفة المقتول ؟!

فلذلك كان من المعقول ان يقف رد علي امام هذه المشكلة السياسية الدقيقة عند قوله

ـ اما ما سألتمونيه من دفع اليك قتلة عثمان ، فاني لا ارى ذلك ، لعلمي بانك انما تطلب ذلك في رعية الى ما قلته ، وبرقعة الى ما عرضته ، وبا الطلب بدم تريد ـ

الفصل الثالث

سياسة معاوية في الحكم

ـ لا تختلف سياسة معاوية في الحكم عنها في حياته الخاصة ، ولقد كانت سياسته تتجلى بعنصرين اولا ـ الحلم ، ثانيا ـ الدهاء .

ـ الحلم الذي كان يجعله محبوبا بين الرعية حتى وبين الخصوم ، والدهاء الذي كان يكيد به اعداءه ويسير به دفة الحكم .

ـ وقد وصفه عبد الله بن عباس وكان نقادا فقال ،

ـ ما رأيت اليق من اعطاف معاوية للرياسة والملك .

ومر عبد الملك بن مروان بقبره مرة فترحم عليه فقال له رجل .

ـ قبر من هذا يا أمير المؤمنين ؟ .

قال . قبر رجل كان والله فيما علمته ينطق عن علم ويسكت عن حلم وكان اذا اعطى اغنى واذا حارب افنى .

ـ ويروى ان معاوية بعث الى رجل من الانصار بخمسمئة دينار فاستقلها الانصاري وقال لابنه .

ـ خذها واصعد الى معاوية فاضرب بها وجهه ورد هذا عليه ، واقسم على ابنه ان يفعل ذلك . فجاء ابنه الى معاوية فقال .

ـ يا امير المؤمنين ان ابي فيه حدة ، وسرعة ، وقد اصرني بكيت وكيت واقسم علي ، وما اقدر ان اخالفه .

ـ فوضع معاوية يده على وجهه وقال .

افعل ما امرك به ابوك ، وارفق بعطيتك .

فاستحيا الصبي ورمى بالدراهم فناولها معاوية وحطها الى الانصاري وبلغ الخبر يزيد بن معاوية ، فدخل على ابيه غاضبا وقال له .

ـ لقد افرطت في الحكم ، حتى خفت ان يعد عليك ذلك عدما وجبنا ، فقال معاوية

ـ اي بني انه لا يكون مع الحلم تعداسة ولا في عدمة . فاصغ لقائلك ودعني ورأيي وبمثل هذا سار معاوية في حكمه وساس رعيته فكسب حبهم ولسانهم مما قوى به مركزه ورفع مكانته . وكانت الدولة الاسلامية ايام معاوية في اول نشاتها ولذا كان لابد لمعاوية من تعزيز سلطانه وتقبل المعارضة في مهدها ، وتألف الاحزاب بالمال والعطاء ، ثم تراه يكتم في عماله وهل تراهم احسنوا في العمل على خطته ام اساؤوا .

ـ وكان معاوية يخشى زياد بن ابيه فقد كان يعمل مع علي وقد تلقى من علي رسالة جاء فيها . اني وليتك ما وليتك وانا اراك له اهلا ، وقد كانت من ابي سفيان غلطة من اماني الباطل ، وكسب النفس لا توجب له ميراثا ، ولا تحل له نسبا ، وان معاوية ياتي الانسان من بين يديه ومن خلفه ومن يمينه ومن شماله فاحذر ثم احذر والسلام .

...../...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ ولما شعر معاوية بخطر الخوارج بعث المغيرة بن شعبة الى زياد وكان ذلك بعد مقتل علي فما زال حتى ثناه عن رأيه ، وكان هذا النجاح من المغيرة من اعظم ما افضى به الى معاوية من خدمه لأن زياد كان قوى الشكيمة عقوى الادارة ، وقد ولد في السنة الاولى للهجرة من امة للحارث بن كلده الثقفي ، ولم يكن معروف الاب وامتاز في مطلع شبابه ، بذكاء القلب وحدة الحيلة وحزم الامور ، وحدة اللسان ، وشدته ، ووصل الى الدهاء بلغ الطغيان ، وكان اليسق من يولى امر البصرة ، لقطع الفتنة التي بدأها الخوارج في مهدها .

والواقع ان معاوية لم يكن يستعمل من الولاة الا من ثبتت كفاءته في تأييد سلطانه وكان لايلبث ان يتنقل عامله ، اذا تبرم منه اهل القطر الذى هو فيه ، ويستبدل به بغيره ، او اليس منه عريكة ، فكانت خطته وضع عامل حقيقي للعمل ، ولا يريد عملا لعامل يرزقه .

ـ وكان دهاء معاوية لايفارقه مع عماله ورعيته ، من ذلك ما حدث به زياد بن ابيه عن نفسه قال .

ـ ما غلبني امير المؤمنين الا في واحدة ، طلبت رجلا ، فلجأ اليه وتحرم به ، فكتبت اليه ان هذا فساد لعملي ، اذا طلبت رجلا لجأ اليك وتحرم بك فكتب اليه معاوية .

ـ انه لاينبغي ان تسوقنا الناس بعصاة واحدة ، فيكون حظنا مقام رجل واحد ولكن تكون انت للشدة والغلظة واكون انا للرأفة والرحمة ، فيستريح الناس بيننا ، .....

ـ وقد ذكر المؤرخون ان الدهاة اربعة .

ـ معاوية للروية وهو الساس للمدينة ، والمغيرة بن شعبة للمعضلات وزياد لكل صغيرة وكبيرة .

ـ واذا ما تتبعنا عمال معاوية واخبارهم ، يظهر لنا كيف كان عماله يخلقون الناس خلقا جديدا ، ويدخلونهم الى الطاعة بعد ان اغرقوا في الفتنة الى ابعد حدودها وكانوا يحملون الناس الى الانقطاع الى اعمالهم ويضطرونهم الى ان يتركوا الخوض في سياسة الملك ، الى من يحسن القيام عليها .

ـ وقد يأخذنا العجب عندما ننظر الى سيرة هؤلاء العمال وغشهم من الاموال ، وتهلكهم بالتدليس واتلافهم للاحساب ، لتأليف القلوب ، واستمالة الخصوم .

ـ فقد ذكر المؤرخون ان عمرو بن العاص ، الذى ولي مصر مرتين وجعلها له معاوية في المرة الثانية طعمة بعد الاتفاق على مرافقتها ان هذه الطعمة لم تعد على عمرو بثمرة تذكر . وكان سائر عمال معاوية على هذه الحال

ـ وقد استعمل معاوية بعض النصارى في مصالح الدولة ، وهذا لايخرج من كونه ضرب من ضروب الياسة ، فعهد الى سرجون بن منصور ثم الى ابنه في ادارة المالية فربح حب وتأييد نصارى الشام .

... .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــــل الرابـــــــــع

سياسة معاوية والمصلحة الشخصية والاموية *

ـ ذكر المؤرخون ان معاوية كان انانيا لايعد حدود الانانيـــــــة وتظهر هذه الخصلة في اعماله واقواله ولم تكن انانيته الاموية باقل من انانيته الشخصيـــــة لتستمع اليه يقول ..

ـ اننا لانحول بين الناس وبين السنتهم ، مالم يحولوا بيننا وبين ملكنـــــا وما الفتن التي تفسخ فيها ، والكتب التي ارسلها الا صورا للانانية الشخصية والاموية وكانت تدفعه الانانية للحقد الزائد حتى من اقرب الناس اليه .

فهو لم يقنع فيما وقع فيه عثمان من اخلاق بد مروان وغيره من بني قرابته في شئون الخـــــلافة مما سبب الثورة والفتنة ، فقتله رضي الله عنه ، اما معاوية فقد خلع قرابته خدمـــــات لاتستطيع انكارها ولكن لم يول احدا منهم مصرا كبيرا ، كالعراق مثلا فيه مسئولية وشغـــــب كثير ، بل اكتفى بان اوطأ لهم الحجاز ، فكان يولي واحدهم الطائف اولا فان احسن الولايـــة وقام بما ولي تركه تماما حسنا ، جمع له معها المدينة ، وكان الى ذلك كله يلقي في روع كل منهم ان مصيره ومستقبله معلقان ، بخدمته للخليفة خدمة ناصحة صادقة ولم يكن معاويـــة من الرجال الذين يمكنون من تبسط بعض قرابتهم في الامصار التي يتولونها ولعل مرد ذلك ، خوف معاوية من تسلل الغرور اليهم ، فيذهب واحدهم الى الايمان بارثه صاحب الحق بالخلافة بعد معاوية ، وانه قد يصل اليها . ولكنه لايتكر ان الامويين قد ابدوا حتى وصل الى الخـــلافة ولذا يجب ان يكون لهم نصيب في المادية ولكنه لم يسمح لهم باكثر من ذلك فاما الحكم ومسئولياتـــه واما السلطان وامجاده ، فهذا يجب ان يكون فيه وفي ولده وبني سفيان ، وكانت هـذه الفكرة مـــن الاسباب التي حطت الامويين من سلالة مروان وغيره على الغضب والاستنكار ولكنه ومع هـذا لم يبخـــل على بني امية بالهدايا والعطايا ، وافضى الى كثير منهم بالوظائف التي هي اقرب الى التشريفـــات منها الى اي شيء اخر .

واذا رأينا شقيقه عتبة في مصر وعبد الله بن عامر في البصرة فقد كـــــان ذلك بدافع العاطفة الاموية لاسيما وانه واثق منهم والى جانب هذا نرى في معاوية ظاهـــــرة غريبة في معاملة اقاربه وذويه . فقد كان يتكلف ايقاع الفتنة والنفرة بين من يخشى من تفـــوقه على عزيمته وحقده من بعده وفي هذا منتهى السذاجة .

ـ هذا مروان بن الحكم وهو شيخ امراء بني امية وسعيد بن العـــــاص اعظمهم نفوذا واليك فعلته معهما .

ـ كان سعيد واليا على المدينة ، فعزله واستعمل مروانا عليها وسبب ذلك ان ـ معاوية بعث بكتاب الى سعيد يطلب منه فيه هدم دار مروان وقبض امواله وكان معاوية هو الـــذي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعطاه الدار والمال . ولكن سعيد رفض التنفيذ ، فاكد معاوية برسالة ثانية فما كان من سعيد الا الرفض ولما عزله واقام مكانه مروانا ، كتب الى مروان يطلب اليه هدم دار سعيد ، وقبض امواله ، فسار مروان الى دار سعيد ليهدمها فقال له سعيد .

- يا ابا عبد الملك اتهدم داري ؟.

- قال نعم ، كتب الي امير المؤمنين ، ولو كتب اليك لفعلت

- ما كنت لافعل .

- بلى والله

- كلا ، ثم قال لغلامه . ائتني بكتاب معاوية ، فجاء به بالكتابين فلما راهما مروان قال .

- انت والله خير مني ، وعاد ولم يهدم الدار

وكتب سعيد الى معاوية يقول .

- العجب مما صنع امير المؤمنين بنا في قرابتنا ، ان يضغن بعضنا على بعض ، فامير المؤمنين في خلعه وصبره على ما يكره من الاخوين وعفوه ، وادخاله القطيعة بيننا ، والشحناء ، وتوارث الاولاد ، ذلك ذ والله لو لم تكن اولاد اب واحد لما جمعنا الله عليه من نصرة امير المؤمنين الخليفة المظلوم ، وباجتماع كلمتنا ، لكان حقا على امير المؤمنين ان يرعى ذلك ،

- فكتب اليه معاوية يعتذر عن ذلك ويتنصل ، وانه عائد الى احسن ما يعهده ، وقدم سعيد على معاوية فسأله عن مروان فاثنى عليه خيرا فقال له معاوية .

- وما باعد بينك وبينه ؟

- خانني على شرفه ، وخفته على شرفي .

- فماذا له عندك ؟

- احفظ عاهدا او غائبا .

- والقصص على ذلك كثيرة لاحاجة لتعدادها .

ولابد لي وانا ابحث سياسة معاوية الشخصية ، من ان اذكر البيعة التي اخذها لابنه يزيد ، وتوصى بها النظام الاسلامي في الحكم.

- لما احس معاوية بالضعف يتسلل الى جسمه عول على بيعة يزيد ، وكتب الى مروان بن الحكم ، وكان عامله على المدينة يقول .

- اني قد كبرت سني ودق عظمي وخشيت الاختلاف على الامة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من بعدي ، وقد رأيت ان اتخير لهم من يقوم بعدي ، وكرهت ان اقطع امرا دون مشورة من عندك فاعرض ذلك عليهم واطلعني بالذي يردون عليك .

ـ عرض مروان الامر على الانصار والمحاسيب اول الامر فوافقوا ، فاخبر معاوية بموافقتهم ، فارسل الى مروان كتابا يخبره فيه عزمه على البيعة لابنه يزيد ، فقرأه مروان على الناس في المسجد فهاج القوم وماجوا وقال عبد الرحمن بن ابي بكر .

ـ ما الخيار اردتم لامة محمد ، ولكنكم تريدون ان تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل ، وقام الحسين بن علي فانكر ذلك وفعل مثله بن الزبير .

ـ وهكذا ظهرت المعارضة يقودها عبد الرحمن بن ابي بكر والحسين بن علي وعبد الله بن الزبير . ولكن معاوية وما عرف عنه من الدهاء لم يأبه بهم ، وكتب الى عماله ان يمهدوا الامر للبيعة في الانصار ، وان يرسلوا لهم الوفود للتأييد (وهو ما نراه اليوم) . وجاءت الوفود الى دمشق وتكلم باسمها الضحاك بن قيس الفهري ، ودعا لبيعة يزيد ، فاطمأن معاوية للأمر وعلم ان خطته نجحت فاعلن البيعة ليزيد امام الوفود بعد ان قدم لها بخطبة بينا فيها عظمة الاسلام ، وحرمة الخلافة ، واحقية يزيد بها ، لما يتحلى بها من علم وفضل ومكانة ، وما يترتب على بيعته من توحيد كلمة المسلمين وجمعها ، وتأييد الامن في مشرق الارض ومغربها .

ـ ونحن نعلم ان هذه البيعة لم تكن عامة ، وحتى من كان حاضرا ، كان احد رجلين . رجل ابى واستنكر ، واخر رضي عن خوف او طمع وقد مثل الاحنف بن قيس عن رأيه في الكلمة التي خاطب بها معاوية الوفود فقال .

ـ تخافكم ان صدقنا وتخاف الله ان كذبنا ، وانت يا امير المؤمنين اعلم بيزيد في ليله ونهاره ، وسره وعلانيته ، ومدخله ومخرجه فان كنت تعلمه لله تعالى والامة رضى ، فلا تشاور فيه ، وان كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا ، وانت صائر الى الاخرة ، وانما علينا ان نقول سمعنا واطعنا .

ـ وهكذا نرى معاوية يتعامى عن المصلحة العامة في سبيل مصلحة ابنه يزيد ، وارضاء انانيته ، لذا فقد نوع واستعمل ضروب الحيلة في الوصول الى غايته . فاعطى المقارب ، وداري المعاند ، ولطف من حدة الغاضب حتى استوثق له اكثر الناس ، وضمن البيعة ليزيد في الشام ، ثم رحل الحجاز ، ليأخذ منهم البيعة ، فقابله الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاساء وفادتهم ، ودخل على عائشة ام المؤمنين فشكاهم اليها وهدد بقتلهم ، ولكنها نصحته ان يحسن معاملتهم ففعل ، وعاد الى المدينة فاغدق على الحسين وابن الزبير وابن عمر بالهدايا الثمينة والهبات ، وتكلم معهم بشأن البيعة مستعملا حنكته ودهاءه ، فقال بن الزبير .

ـ تخيرك بين ثلاث خصال .

ـ قال معاوية اعرضهن . قال .

ـ تصنع كما صنع رسول الله او كما صنع ابو بكر او كما صنع عمر ، قال معاوية وماصنعوا ، قال قبض رسول الله ولم يستخلف احدا فارتضى الناس ابا بكر

ـ قال معاوية .

ـ ليس فيكم مثل ابي بكر ، واخاف الاختلاف ، قالوا .

ـ صدقت فاصنع كما صنع ابو بكر فانه عهد الى رجل من قاصية قريش ليس من بني ابيه فاستخلفه وان شئت فاصنع ماصنع عمر ، جعل الامر شورى في ستة نفر ليس فيهم احد من ولده ولا من بني ابيه . قال معاوية هل عندك غير هذا ، قال .

ـ لا . فسكت معاوية قليلا ، ثم التفت الى الحسين وعبد الله بن عمر وقال ، فانتم ؟ فقالا . قولنا قوله .

ـ فقال معاوية

ـ فاني احببت ان اتقدم اليكم انه قد اعذر من انذر . واني كنت اخطب ، فيقوم الي القائم منكم ، فيكذبني على رؤوس الناس ، فاحمل ذلك واصفح واني قائم بمقالة ، فاقسم بالله لئن رد علي احدكم كلمة في مقامي هذا لاترجع اليه كلمة غيرها ، حتى يسبقها السيف الى رأسه ، فلا يبقين رجل الا على نفسه . ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم ، وقال له .

ـ [illegible] ، اقم على رأس كل رجل منهم رجلين وضع كل واحد سيف ، فان ذهب رجل منهم يرد علي كلمة بتصديق او تكذيب فليضرباه بسيفيهما . ثم خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر ، فحمد الله واثنى عليه وقال .

ـ ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لايعتبر امر دونهم ولا تقضى الا عند مشورتهم ، وانهم قد رضوا وبايعوا لمزيد ، فبايعوا على اسم الله

ـ فبايع الناس وكانوا يتربصون ببيعة هؤلاء النفر ثم انصرف الى المدينة فلقي الناس ذلك النفر ، فقالوا لهم ،

ـ زعمتم انكم لاتبايعون ، فلم رضيتم واعطيتم ، وبايعتم ، فقالوا . والله

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ماقعلنا • فقالوا • ما منعكم ان تردوا على الرجل ؟ • فقالوا • كادت وخفنا القتل •

وهكذا استطاع معاوية بكيده ودهائه اخذ البيعة لولده يزيد ، وهذه الظاهرة الخطرة ، فوضعت دعائم الخلافة وقلبتها من شورية عامة الى ملكية وراثية •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(الفصـــــل الخامـــس)

سياسة معاوية مع خصومه السياسيين وغيرهم .

ـ لقد كان معاوية بالنسبة الى خصومه السياسيين ذا وجهين . فمن وجهه الاول نراه حليما كريما ، يقابل الاساءة بالاحسان ويعطي المعل لمن قدم له الطلب ، ولا يكترث بالحوادث ، لكنه لايلبث ان يقلب ظهر المجن في وجهه الآخر ، فترى فيه انسانا فظا لايأتلف من استعمال ابشع الطرق في الانتقام من كانوا خصما له ، اللهم ان كان ممن يخشى خطره .

ـ وتروى لنا كتب السيرة القصص الكثيرة ، التي تدل على حلم معاوية ومقابلته الاساءة بالاحسان ، وليس ادل على هذا من القصة التي اوردتها قبل قليل مع عبد الرحمن بن الحكم ، حين قال فيه .

ـ الا ابلغ معاوية ابن صخر

لقد ضاقت بما تأتي البلاد

اتغضب ان يقال ابوك عف

وترضى ان يقال ابوك زاني

ـ ولم تثر هذه في معاوية الا الحلم وعدم الاكتراث

ومثلها من القصص كثير لا اريد ان استرسل فيها وهي ان دلت فانما تدل على عمق السياسة التي يسير عليها معاوية في معاملة خصومه ولنعد الى وجهه الثاني فنرى انه استعمل السم في مرات عدة ، رغم ما فيه من بشاعة في الانتقام ، تعتبر جبنا ونذالة .

ـ وهاهو يدس السم الى الحسن بن علي بواسطة شريكة عسل وهاهو يدسه اخرى وفي شربة عسل ايضا الى الاشتر النخعي ، وفي مرة ثالثة يدسه الى عبد الله بن خالد بن الوليد وفي العسل ايضا ولكنه يفشل فشلا في جميع الحالات ، وهذا منتهى الدهاء ، وقد ذكرت كتب السنة ان معاوية لم يرتكب خطأ كهذا وبررت جميع الاتهامات التي وجهت اليه ، ولكني رأيت التبرير عاجزا عن اقامة الدليل والحجة ، وهو مقنع حتى للذي كتبه ولا اريد ان اهاجم معاوية وابحث في مشروعية هذا العمل وعدمه ، ولكني ان اذكر هذا فذلك لأنه لايبتعد عن شخصية معاوية السياسية التي تقتضي منه ان يقدم على عمل كل فعلة في سبيل غايته المنشودة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ وقد روى لنا الطبري قصة مقتل الاشتر وهو يصورها في صورة ان دلت فانما تدل على المكر والخداع والحيلة وكلها تنتمي الى جانب السياسة ، السياسة التي انتهجها معاوية •

ـ ويذكر بن الاثير في تاريخه ان معاوية صعد المنبر فحمد الله ثم قال ،

ـ اما بعد فانه كانت لعلي بن ابي طالب يدان يمينان قطعت احداهما يوم صفين (يعني عمار بن ياسر) وقطعت الاخرى اليوم (ويعني الاشتر) • فهل بعد هذا يبرئ الصفيون معاوية من الغسل ، اللهم الا بتكذيب هذا ايضا •

ـ وننظر المقريزي حين ينقل الينا قول عمرو بن العاص عندما وافاه نبأ قتل الثلاثة ، يقول عمرو ،

ـ ان لله جنودا من العسل ، ذلك لأن معاوية كان يفتك بضحاياه جميعهم بهذه الواسطة •

•• •• ••

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الســـــادس

سياسة معاويـة الاداريـة والماليـــــــــــــة *

ـ لقد ابتكر معاويـة في الـدولة اشياء لم يسبقـه احـد اليهـا ، منها انـــــــه اول من وضـع الحشـم للملوك ورفـع الحـراب بين ايديهـم ، ووضـع المقصـورة التي يصلي فيهـــا الخليفـة منفـردا عن النـاس وهـو اول مسلم غـزى في البحـر وانشأ الاسطـول في صناعـــــة صـور وعكـا وطرابلـس ، وغـزى الروم ، ولما فتـح قبرص ورودس كان معـه الف وسبعمائة سفينـة واهم ما قـام بـه تنظيـم الجـيش ، فضاعـف عطاءه ، ووقت اوقاتا لتناول ارزاق الجنـــــــــد ووفـق الى استخـدام اكبـر رجال الادارة واعظمهـم زياد ، ثم عمـرو بن العـاص والمغيـــــرة بن شعبـة ، والضحاك بن قيـس وغيرهم .

ـ وكان يكثر البذل والعطـاء للعلويين والهاشميـين ، واذا لامـه احد من اهلـه على ذلـك كان يحببهـم .

ـ ان الحـرب تستلزم اكثـر من هـذا العطـاء ، وهـذا نظـر سياسـي عميـق .

ـ وهـو اول من وضـع البريد ، واحضر رجـالا من دهاقيـن الفـرس واهل عمـــال الـروم ، فعرفهم بالبريـد ، فوضعـوا لـه البريـد ، واتخـذوا له بغالا ، كان عليهـــا سفـر البريـد ، وهـو الذى اخـترع ديوان الخـاتم ، وحزم الكتـب ، ولم تكن تحـــزم واستكتب عبد الله بن اوس الغساني ، سيد اهـل الشام ، وجعـل على كل قبيلـة من قبائـــل مصـر رجـلا يصبح كل يوم ، فيدور على المجـالس فيقـول ،

ـ هـل ولد الليلـة فيكـم مولـود ، وهـل نـزل بكم نازل فيقـال ، ولد لفـــلان غـلام ولفـلان جاريـة ، فيكتـب اسماءهـم ، ويقـال نزل بهم رجـل من اهـل كـذا بعيالـــه فيسميه وعياله ، فاذا فـرغ من القبيـل اتى الديـوان حيث يثبت ذلك .

ـ فكـانت الدولة تحصـي السكـان ، ولا يفوتهـا خبـر من يتنقـل في ارجـاء البلـــدان وهـذا يجمع بين عمـل دائرتيـن في وقتنـا الحاضـر ، هنا ، التفـوس وفرع من الامـن العـــام

ـ واستخـدم معاويـة النصارى كما ذكـرنا في مصالح الدولـة ، بينما رغـب عنهم عمر الا اذا اسلمـوا .

ـ وسبب ذلك ان معـاويـة كان يحـب الانتفاع بكـل قـوة تستخـدم في قيام الـــدولة وتعين على انتظام الجماعـة ، وقد اختص الخليفـة اهـل الشـام بعنايتـه لانهم في ديار الخـــلافة واستعمل الصالحين من اهـل الذمـة في اعمالـه الاداريـة ، ومن سياستـه ان نقـل الى السواحـــل قومـا مـن زط البصـرة وانـزل بعضهـم انطاكيـه ، ونقـل قومـا من فـرس بعلبك وحمـــص وانطاكيـه الى سـواحل الاردن وصـور ، لانه رأى فيهـم اكثـرية في الشـام ، وذلك تفاديا من ان ـ يستأثـر النصـارى وحدهم بمفتاح البـلاد من البحـر ، وليجعـل العـرب والفـرس كل عنصـــر رقيبـا على الآخـر ومنافسـا لـه . وقد اصبحـت دمشق في عهده مدرسة يتخرج منها القـــواد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واهتم معاوية بالزراعة ، وعني بها بالحجاز عناية خاصة فاحيا موات الارض واحتفر الابار بالمقيا ، الى غير ما هنالك من الاعمال العمرانية النافعة .

ـ اما سياسته المالية .

ـ فالفروق هو اول من وضع الديوان ، وفرض الرواتب للعمال والقضاة ، ومنع ادخار المال وحرم على المسلمين اقتناء الضياع والزراعة الا على قدر (انظر تاريخ المقريزي) .

ـ فلما استقر معاوية في الشام واقتدى بالروم بالبذخ واتخاذ الحاشية لم يعد راتبه يكفيه ، ورأى من عثمان ضعفا ومميلا اليه فكتب اليه فيما يقوله ،

ـ ان الذي اجراه عليه من الرزق في عطله لايقوم بمؤن من يقدم عليه من وفود الامصار ورسل امرائهم ومن رسل الروم ووفودهم ، ووضع في كتابه هذا المزارع ، وانه لامالك لها وليس هي من قرى اهل الذمة ولا الخراج ، وسأله ان يقطعها اياها (تاريخ ابن عساكر)

ـ ويذكر لنا المقريزي ان راتب معاوية كان مقداره الفي دينار في السنة ولذا فقد اجابه عثمان الى طلبه فاصبح معاوية من خزنة المال .

ـ وكان معاوية فذا في استعمال المال وتصريف الدولة الاسلامية في عهده يحتسب بمبلغ رضاء الجمهور ويروج بواسطته مختلف اغراضه ومنازعه .

ـ وكما كان المال من الاسباب العظيمة التي ساعدت في بناء الدولة الاموية كان كذلك من الاسباب التي هدمت ملك معاوية ومزقت عرشه .

ـ وكان معاوية اول من احصى الارض ، وعلم مقاديرها وان كان هذا الاحصاء يضطرب في كثير من المنفعة الخاصة لانه اخذ يكتب الارض التي لااصحاب لها باسمه ويقطعها الى انسبائه واهله ، وهو اول خليفة في الاسلام ، استعمل نفوذ الخلافة للاستكثار من الارض والاموال ، لكن الحق الذي لاشبهة فيه هو انه قد تدم بذلك نفعا وان يكن غير مقصود او مقصود ، الا وهو ان توزيع الاراضي على الناس واستثمارها ، قد افاد الدولة الاسلامية كثيرا ، لان الاموال التي غذتها اول نشأتها من الفتوح والغزوات كانت قد نفدت ولم تبق فتوحات وغزوات ، تصح ان تكون اساسا لخزانة الدولة الاسلامية ، فكان تعهد الارض وزرعها ضروريا للقيام بمصارفات هذه الدولة الناشئة .

ـ وختاما لهذا الفصل فان معاوية يتألق في عتق وجوهه بتلك الظاهرة الرائعة التي امتاز بها كأول خليفة اسلامي ، تلك الظاهرة التي جعلت اكبر مؤرخي العالم يذكرونها بشيء من الاعجاب ، وهي لاتخرج عن كونها حلما ودهاء .

.. .. ..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(الباب الثالث) "

ـ نظرة مقارنة ـ "

(الفصل الاول)

سياسة معاوية والمذاهب الحديثة

(الفصل الثاني)

سياسة معاوية ومكيافيلي

خاتمة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الاول

سياسة معاوية والمذاهب الحديثة *

- يقول الاستاذ نيكلسون .

- كان معاوية محنكا سياسيا حاذقا ، لايقل عن ريشيلو السياسي الفرنسي الشهير من حيث توحيد الدولة والقضاء على المعارضات ، وتألف القلوب وتهدئة الخواطر وقد مكنته معرفته التامة بالطبائع البشرية من ان يجذب اليه الرجال ذوى الآراء المعتدلة في جميع الاحزاب المعارضة . (تاريخ الادب العربي - ريشيلو) .

- اما ان معاوية كان سياسيا محنكا فلا شك فيه ولم يخالف هذا القول احد .

- واما انه تمكن من ان يجذب اليه الرجال ذوى الاراء المعتدلة في جميع الاحزاب المعارضة ، فلا ، لانه تمكن من حملهم على الاستكانة الى الامر الواقع والرضاء بالحكم القائم فكانت قلوبهم والحالة هذه تغلي في ضغينة ظاهرة وحقد خافت ودم قد موتور ، تتربص الفرص وتتحين الظروف لترفع رأسها وتعيد سيرتها الاولى من الشغب والفتن وطلب الثارات .

- ولكنه كان عاقلا لبيبا عالما حليما قويا حسن السياسة بارع الادارة موفق التدبير لامور الدنيا ، وهو في صرف اكثر المستشرقين من الدهاة السياسيين والداهية في نظرهم بالمعنى السيئ البارع الادارة الذى لايتعجل الاحداث ، ولا يحتزم امرا الا وهو واثق من نجاحه وفلاحه . وهذا رأى ولهسون .

- وقد اطلق عليه بعضهم لقب الداهية ، والداهية في نظر العرب اوسع جوا وابعد مدى من تعريفهم السياسي وهو ما حمل ولهسن على تفضيل معاوية على ثاليرات وبسمارك اذ كان العربي في نظره ابعد غورا واعلى كعبا في السياسة من هذين الرجلين الشهيرين .

- والسياسة الحديثة قد ابيحت لرجالاتها في سبيل تحقيق غاياتهم ان يتخذوا من الوسائل ما يكتب لهم نجاحهم السياسي وهذه السياسة التي اخرجت لنا ماترنيخ وكافور وبسمارك وزراثيلي وبيت ، والتي يعد جلادستون من ابطالها لا تخرج في كثير ولا قليل من سياسة معاوية .

- وهي سياسة ايجابية في نجاحها العملي سلبية في ارضائها المشاعر العقلية .

.. .. ..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الثانـــــــــي *

(سياسة معـاوية ومكيافيلـــــــــــــــــي)

ـ ان احـدث سياسة عرفهـا القرن العاشـر واكبر مدرسة تخرج منها ساسة البـلاد الغربيـة ، لاتخرج في حقيقتهـا عن تلك المدرسـة التي وضعها السياسي العبقرى (مكيافيلي)

ـ ولكن من ينظـر الى اقـوال الساسـة العظماء ورأيهم في مدرسة مكيافيلـي وجماعتـه ، يظن كل الظـن بانهم غير راضيـن عن هـذه السياسـة التي تضحي بكل شيء تبـريرا للوصـول الى الغايـة السياسيـة والتي يعتبر دستورها الغايـة التـــي تبـرر الواسطـة

ـ نعم ان هـذه السياسـة تغاير الاخـلاق وتصطدم بعقبات العاطفـــة والانسانيـة ولكنها لاتستطيع ان تنكـر نجاحهـا في الحياة العمليـة ، في السياسـة العالميـة والداخليـــة .

ـ ومعـاويـة في جل تصـرفاته يحفـل كثيرا في تحقيـق غـاياته في تشييد الملك ، فهـو يدبـر اموالناس لهـذه الوجهـة ـ وهو ينتهـج من الوسائل السياسية ملا يكفـل نجاحـه من هـذه الوجهـة .

ـ وانه لخليـق بنا وبسوانـا الانعدو بعيدا عن هـذه الوجهـــة اذا نظـــرنا الى معـاوية في كتابه الى مـروان بن الحكـم بشأن حسده شاعـره الكبيـر ابي حيحـان وحين حكـم لابن الزبيـر بثمن داره المحترقـة ، وحين ارضـى عقيلة ، واحتمل من الاحنـــف بن قيـس ما احتمـل ، وحين تخـلص من الاشتـر النخـعي ومن عبد الرحمن بن خـــــالد ومن الحسن بن علـي ، وحين فصـل في منازعـة عمرو بن عثمان بن عفـان ، واسامة بن زيـــد في حكايـة الارض التي قيـل ان رسـول اللـه وحين كان يبـذل المـال طبقـا لمناهجـه السياسيـة واني ابيح لنفسي حين انظر الى قول زين العابديـن

ـ ان عليـا كان يقاتلـه معـاويـة بدهيه

ـ ان اقـــول

ـ ان معـاوية كان يقاتـل عليا بدهيـه ودهنـــه

ـ كيـف لا ومعـاويـة القائـــل

مامن شيء عنـدى الذ من غيـظ اتجرعـــه

ـ اني لا احول بين النـاس والسنتهم مالم يحولوا بيننا وبين ملكنـا وختاما للبحث فاني لم اتبع (خـلال دراساتي شخصيـة معـاوية ومقارنتها بساسـة البـلاد وعظمائهـا) على شخصية امتـازت بجميـع النواحـي المفروضـة في الرجـل السياسـي ، واذا كنت في بعـض الاحيـان اتصـرف للطعـن في هـذا العبقـرى فما ذلك تغـرضا مني ولكنه واقـع تاريخي لابد من ذكـــــــــره

...../...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دائبـدا لما ذكـرته فيـه ، من دهـاء وحلم وهما الميزتان اللتـان لايمكن لأحـــــــد ان يجتمعـا بشخص ويكتملا ، كما هـو الحـال في معاويـة واني لأرى اننا ونحـــــن ابنـاء هـذه البـلاد العربيـة التي انتجـت معاويـة وزياد وعمرو وغيرهم ، الا نكـف ببصرنـا حين دراستنا السياسـة العالميـة ومذاهبها عن النظـر والوقـوف امـام ساسـة العـرب ومدعي المذاهب السياسية الناجحـة .

ـ ولكني لا انكـر ان ساستنا لم يقوموا بصياغـة نظـرية سياسيـة على الشكـل الـذى صاغـه بها مكيافيلـي مثـلا ، ولكن هـذا ليس معناه انه لم يكن لهـم مدرســـة ولم تكـن لهم خـطط ومناهج ولكنها مبعثرة في أقوالهم وافعالهـم وليس اعظـم من يقـــوم بجمع هذه الاقـوال والافعـال المبعثـرة فيصوغ منهـا نظـريات اولئك الرجـــــال ليقدمهـا الى العـالم دليلا على انهـم لم يأتـوا بجـديد فما مكيافيلـي ومدرائيلـي وبـــت الا تلامـذة لمعـاويـة ساروا على نهـجه ولكنهـم لم يذكـروه فما جحـــدة . وليـــت الايـام تفسـح لي المجـال لأدرس من هولاء السادة والساسـة واقدم للعالـــــم رجالنـا المهمليـن الخاملين في صفحـات الكتـب الصفـراء المخطوطـة ، واللـــه اسأل ان يتم لي ما أبغيـه ـ والسـلام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit